لكونه بعيدا عما فيه من الخيرات والجد في الطاعات بل حاله الكسل والفتور قال الامام رضي الله
عنه اخبرنا ابو علي بن احمد بن عبدان قال انا احمد بن عبيد البصري نا عبد العزيز
ابن معاوية نا القعنبي قال نا عبد العزيز بن حازم عن ابيه عن بعجة بن عبد الله ابن بدر الجهني عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من خير معايش الناس لهم رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل
الله ان سمع فزعة او هيعة كان على متن فرسه يبتغي الموت او القتل في مظانه او رجل في غنيمة مكانه
له في راس شعبة من هذه او بطن واد من هذه الاودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد الله حتى شعبة شعاف
ياتيه اليقين ليس من الناس الا في خير قال الشارح رضي الله عنه وفي الموطا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الا اخبركم بخير الناس منزلا رجل اخذ بعنان فرسه يجاهد في سبيل الله الا
اخبركم بخير الناس منزلا بعده رجل معتزل في غنيمة يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد الله لا يشرك
به شيئا وفي الموطا ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما
يتبع بها شعف الجبال واورد مسلم الخبر الذي اورده الامام عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من خير معاش الناس له رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة او فزعة
طار على متن فرسه يلتمس القتل والموت مظانه او رجل في شعبة من هذه الشعاف او في فالتمس الموت
بطن واد من هذه الاودية في غنيمة يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد الله حتى ياتيه اليقين ليس
من الناس الا في خير واورده النسائي ايضا على شرط الصحة فهذه الاخبار وان اختلفت في بعض الفاظها
متفقة على العزلة والبعد من الناس للاشتغال بالخير والتفرغ للعبادة افضل ما عاش الناس له وافضل
معايشهم على اختلاف الروايتين قال الامام رضي الله عنه الخلوة صفة اهل الصفوة والعزلة من امارات الوصلة
ولا بد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن ابناء جنسه ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بانسه ومن حق
العبد اذا اثر العزلة ان يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يعتقد سلامته
من شر الخلق فان الاول من القسمين نتيجة استصغار نفسه والثاني شهود مزيته على الخلق
ومن استصغر نفسه فهو متواضع ومن راى لنفسه مزية على احد فهو متكبر ورؤي بعض
الرهبان فقيل له انت راهب فقال لا انا حارس كلب ان نفسي كلب يعقر الخلق اخرجتها من
بينهم ليسلموا منها ومر انسان ببعض الصالحين فجمع ذلك الشيخ ثيابه عنه فقال الرجل لم تجمع ثيابك عني
ليست ثيابي بنجسة فقال الشيخ وهمت في ظنك ثيابي هي النجسة جمعتها عنك لئلا تنجس ثيابك
لا لكي لا تنجس ثيابي قال الشارح رضي الله عنه قوله العزلة لاهل البداية والخلوة لاهل
النهاية صحيح لان المبتدي يعتزل عن الناس ليبعد عن عوائدهم ويتمكن من تغيير اخلاقه الردية
التي تخفى وتخرجه فيها مخالطتهم واما الخلوة لارباب النهاية فانها تجمع هممهم على مقصودهم
وانفرادهم بمحبوبهم لتكمل مناجاتهم وتصفو خواطرهم عما يشغلهم ويترقوا في درجات قربهم وقوله
واذا اراد العبد العزلة فشرطه ان يريد سلامة الناس منه لا سلامته منهم فانه اذا لاحظ سلامته

منهم

منهم نسبهم الى الشر ونزه نفسه عنه ودعى لها التعظيم نفسه وميزتها عليهم خلاف ما اذا قصد
سلامتهم منه فان ذلك يدل على معرفته بآفات نفسه وسوء اخلاقها وما هي عليه من سوء معاملتها
لغيرها وقوله من راى لنفسه مزية على غيره فهو متكبر ليست هي حقيقة الكبر لان الكبر التعظيم
مع الاستصغار ورؤيته نفسه بالعلم المحض لا يدل على تعظيمه ولا استصغار غيره وقد فسر
النبي صلى الله عليه وسلم الكبر بقوله الكبر بطر الحق وغمط الناس اي رد الحق واستصغار
الناس والحكاية التي اوردها عن الراهب في قوله لست براهب وانما نفسي كلب حبستها
ها هنا خشية ان يعقر الناس فيها استصغار النفس ورؤية نقصها خاصة وكذلك الحكاية
عن الرجل الصالح التي افتتحوها بعض الناس فجمع الشيخ الصالح ثيابه عن ذلك الشخص فقال
له الشخص ان ثيابي ليست بنجسة حتى تجمع ثيابك عني فقال له الشيخ وهمت ثيابي هي النجسة
وهذا لا يجري على ظاهره لان كل احد منهما لم يكن على ثيابه نجاسة ولكن الشيخ ادب هذا
الشخص لما قال له ان ثيابي ليست بنجسة حتى جمعت ثيابك اراد به عن سوء الظن بالناس لانه
لا يدري لاي وجه جمع هذا الشيخ ثيابه ولعله جمعها لمقصود اخر ليس لحظ النظافة بثياب
هذا خاصة فنبهه انه له سوء الظن لانه نزه عنه وجمع ثيابه استنقاصا له وبعد عن ذلك الذي
اجابه الشيخ بعكس ما ظنه وقوله وهمت في ظنك ثيابي هي النجسة عن نفسي ثيابي لسان
يك يطلق على دينه وقد يطلق على هيئته وحالته التي هو فيها فيكون قول الشيخ نفسي عندي
هي الحقيرة الصغيرة التي لا تصلح لمخالطة احد وبهذا الوجه تصلح الحكاية للاستشهاد لا على ما قصده
الشيخ من ان الشخص يقصد بعزلته عن الناس سلامتهم من شره لا سلامته منهم وهذا فيه
نظر فان كل الناس لا يمكنه ان ينوي باعتزاله هذا الوجه وذلك لاختلاف حاله من علمه وجهله جهله
واحتياجه للناس واحتياجهم له فاذا كان عالما واحتاج الناس له بخلوته واعتزاله لا يكون
بسلامتهم من شره بل لامر اخر يخصه وربما يكون خلطتهم تشوش عليه مقصوده فيجعل
منهم لكمال تفرغه لجمع همته ونيل اربه فقد اعتزالهم للسلامة وقد يكون تشوشهم عليه
شرا وقد يكون في الخلق قليل الاحتمال سريع الغضب كثير الكلام يقع في الغيبة والكذب منه
والحديث فيما لا يعنيه ويضر الناس بخلطته لكثرة ما يقع منه من سوء عشرته فعزلته ليسلموا
من شره صحيحة وانما اراد الشيخ ان يكون لنفسه بعين النقص والاستصغار لا بعين التكبر على
الخلق والاحتقار وهذا صحيح قال الامام رضي الله عنه ومن ادب العزلة ان يحصل من العلوم
ما يصحح به عقد توحيده لكي لا يستهويه الشيطان بوساوسه ثم يحصل من علوم الشرع
ما يؤدي به فرضه ليكون بناء امره على اساس محكم قال الشارح رضي الله عنه وهذا
صحيح فان العبد اذا اعتزل عن الناس انفرد به الشيطان وادخل عليه الوسواس في ديانته والجهل في
عباداته وما هو محتاج الى علمه فيما لا بد له منه من طعامه وشرابه واخذ ذلك من حله فمن اختل اعتقاده

Copyright © King Saud University